مجلة الحكمة للدراسات التاريخية ISSN : 2353-0472
المجلد5، العدد11، (سبتمبر2017) EISSN : 2600-6405

الحركة التجارية بالمغرب الإسلامي عهد الأدارسة
(172هـ/788م - 375هـ/990م)

الأستاذة: حوة فطيمة
المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة

ملخص المقال:

كانت دولة الأدارسة قوة في مجال الزراعة والصناعة وهذا ما أثر إيجابا على الحركة التجارية ، حيث غطت المنتجات الزراعية والصناعية حاجات السكان وزادت عنها ، مما أدى إلى تصدير الكثير منها إلى خارج البلاد. و قد أقامت الدولة عدة علاقات تجارية- تصديرا واستيرادا- مع الدول الأوروبية والأندلس والمغربين الأدنى والأوسط ومع بلاد المشرق وبلاد جنوب الصحراء. وكذلك اعتمدت على عدة طرق وموانئ تجارية في تجارتها الداخلية والخارجية. وهذا التطور الاقتصادي لعب فيه الأمن دورا فعالا، ذلك أنه عندما اضطرب الأمن وكثرت الصراعات الأهلية والأخطار الخارجية وضعف حكام الدولة، تدهورت الحياة الاقتصادية جملة.

Summary of the article:

the Idrisid State was a force in the filed of agriculture and industry,which is a positive influence on commercial traffic. as agricultural and industrial products cover and increase needs of the population . wich led to the of export of many of them out of the country. The State established several relation - export and import- with the European countries , Andalucia and the Near and Middle Maghreb , and south-Saharan countries. They also used several methods and commercial ports in their internal and external business dealings. The Idrisid currencies had strength during these transactions. The security played an effective role in this economic development, so that when security troubled and civil conflicts and external threats increased and the weakness of the rulers, the whole economical life collapsed.

ISSN : 2353-0472
EISSN : 2600-6405

مقدمة:

من أجل نظرة شاملة حول الموضوع افتتحناه بمبحث أول حول عوامل نمو النشاط التجاري، والتي قسمناها إلى عوامل اقتصادية وشملت بدورها الزراعة والصناعة والثروة الحيوانية والمياه، ثم عوامل سياسية والتي تناولنا فيها تشجيع الكيان السياسي للنشاط التجاري. بينما خصصنا المبحث الثاني من هذا البحث للنشاط التجاري عهد الأدارسة ، والذي قسمناه إلى تجارة داخلية وعواملها المساعدة كالطرق التجارية والمراكز التجارية والأسواق، وتجارة خارجية وعواملها المساعدة كالطرق البرية والموانئ؛ ثم العلاقات التجارية التي أقامتها الدولة الادريسية مع الأندلس والمشرق والصحراء، وأخيرا تناولنا الصادرات والواردات.

أولا: عوامل نمو النشاط التجاري:

1)- عوامل اقتصادية:

أ)- الزراعة

بعد أن قامت الدول الإدريسية وتوطدت دعائمها السياسية والعسكرية؛ اهتمت بالنواحي الاقتصادية للبلاد، واهتمت بالزراعة وذلك بسبب توفر الظروف الملائمة للنشاط الزراعي وتتمثل هذه الظروف فيما يلي:

ـ المياه: توفرت للدولة الإدريسية المياه الغزيرة الدائمة الجريان بسبب كثرة الأودية والأنهار منها: نهر سبو، نهر أبو رقراق، ونهر أم الربيع، ووادي تنسفت، ووادي السوس. وأما الأنهار المتوسطية أطولها نهر ملوية، وهناك أودية وأنهار تعتبر صحراوية منها وادي درعة، وأشهر البحيرات بحيرة سيدي علي[1]. هذا إلى جانب ملائمة المناخ وذلك لإطلالة الدولة على البحر المتوسط والمحيط الأطلسي. كما تمتعت جغرافية المغرب بكثرة السهول وبالتالي التربة الخصبة خاصة الحمراء.

ـ العوامل بشرية:

[1] . أحمد علي (القلقشندي): **صبح الأعشى في صناعة الأنشا**، ج5، وزارة الثقافة والإرشاد القومي،(د ت ط). ص: 169.

ISSN : 2353-0472
EISSN : 2600-6405

لقد اهتم ولاة الدولة بالزراعة فشقوا القنوات للاستفادة من المياه، كما شجعوا على الاهتمام بخدمة الأرض، إلى جانب الاستفادة من خبرات العناصر المشرقية والأندلسية والفارسية[1] الوافدة إلى إقليم المغرب الأقصى .

ـ المحاصيل الزراعية:

كانت الأراضي في المغرب الأقصى مصدرا خصبا لكثير من المحاصيل الزراعية، حيث قامت الكثير من المدن المغربية بزراعة النباتات المختلفة، ومن هذه المحاصيل نذكر:

ـ القمح، الشعير، الذرة و أنواع أخرى من الحبوب، القطن، قصب السكر، الزيتون

ومن العرض السابق يمكننا القول أن خصوبة التربة وانتشارها في ربوع الدولة الإدريسية؛ مع تنوع مناخها وكثرة مياهها؛ ساهم إسهاما كبيرا في تنوع وكثرة المحاصيل الزراعية؛ والتي أسهمت في نشاط الحركة التجارية.

ـ الثروة الحيوانية:

وقد صاحب كثرة الغرس والزراعات المختلفة ، أن حضت البلاد بثروة حيوانية كبيرة، نتيجة لاختلاف السطح والمناخ مما نتج عنه أقاليم رعوية كثيرة[2]، وهذه المراعي التي انتشرت في أنحاء البلاد ضمت كثيرا من الحيوانات المستأنسة من الخيل والبغال والحمير والإبل والبقر والغنم[3].

ب) ـ الصناعة:

كان للصناعة دور هام في ازدهار الحياة الاقتصادية منذ أن تأسست الدول الإدريسية؛ نتيجة لاستقرار الأوضاع في البلاد وخاصة في عصر قوتها وتوفر المواد الخام التي تقوم عليها الصناعة مع وجود الخبرة الصناعية المتمثلة في الأيدي العاملة، وعن الدعائم المساعدة للصناعة نذكر:

ـ المواد الخام: ومن هذه المواد الخام معدن الحديد الذي كانت أماكنه بين سلا ومراكش؛ كذلك قرب مدينة فاس، أما معدن النحاس فقد وُجد بمنطقة السوس ومدينة داي وقد أشار "الإدريسي" إلى ذلك بقوله: << ومدينة داي... بها معدن النحاس الخالص الذي لا يعدله غيره من النحاس بمشارق الأرض ومغاربها...>>[4]. أما معدن الفضة فكانت مناجمه

[1] . أبو القاسم النصيبي (ابن حوقل): **صورة الأرض**، دار صادر، بيروت، (د ت ط). ص: 96.

[2] ابن رسته : المصدر السابق، ص260.

[3] . القلقشندي: المصدر السابق،ص 176.

[4] . الإدريسي: المصدر السابق، ص: 74.

ISSN : 2353-0472
EISSN : 2600-6405

في مدينة زجندر وتادلا[1] وتامدلت[2]، ومعدن التوتيا المستخدم في صنع النحاس الأحمر وتحويله إلى أصفر فقد كان موجودا في منطقة السوس[3]. أما بالنسبة لمعدن الذهب فقد أشار "المراكشي" إلى أنه مستورد من بلاد السودان[4] .بالإضافة إلى معادن أخرى كالصدف الثمين المستخرج من نهر فاس؛ والياقوت الذي أشار إليه "البكري" بقوله: << وهناك جبل هزرجة فيه أجناس من الياقوت المتناهي في الجودة وحسن اللون>>[5]. وهناك مواد أخرى التي دخلت في صناعة مواد البناء كالصلصال والرمال المختلفة الأنواع وكانت قريبة من مدينة فاس.

ـ اليد العاملة: توفرت اليد العاملة المدربة على الصناعات المختلفة والتي انتشرت في أنحاء البلاد، وقد اكتسب الصناع الخبرة بفضل الهجرات المبكرة التي قصدت المغرب الأقصى منذ بداية عهد الأدارسة؛ وعن أهم الصناعات نذكر:

من أهم الصناعات التي عرفتها الدولة الإدريسية صناعة المواد الغذائية من طحن الحبوب وعصر الزيتون فقد ذكر "البكري" << أنّ غذاء السكان كان الزيت والعسل واللبن والزبيب>>[6]، حيث كانت المطاحن قائمة على مجاري الأنهار وخاصة في منطقة فاس، أما معاصر الزيتون فكانت منتشرة في كل بقعة عامرة بأشجاره. واستندت إلى صناعة الزيت صناعة الصابون خاصة في مدينة مكناس، ولم يقتصر استخراج الزيت على الزيتون بل تعداه إلى ثمر الغرتي والهرجان الذي كان ينمو في بلاد السوس وذلك بعصر قشره ويستخرجون منه الزيت[7]. وصنعوا السكر من القصب في البصرة على الساحل وتارودانت في الصحراء. كما اهتدوا إلى صناعة مشروبات من اللبن والعسل تستعمل كدواء.

---

[1] .ابن سعيد المغربي: **بسط الأرض في الطول والعرض**، تحقيق خوان خيناس، معهد مولاي الحسن، تطوان، المغرب، 1957م. ص: 75.

[2] .البكري: **المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب**، تحقيق دي سلان، ط3، باريس، 1911م، ص: 163.

[3] .عبد الواحد (المراكشي): **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، تحقيق محمد سعيد العريان، ط1، مطبعة الاستقامة، مصر، 1949م، ص: 362.

[4] .المصدر نفسه، ص: 363.

[5] .البكري: المصدر السابق، ص: 153.

[6] .البكري: المصدر السابق، ص: 117.

[7] .المصدر نفسه، ص: 163.

كما ازدهرت عهد الأدارسة صناعة النسيج فنسجوا الملابس من المواد الأولية المحلية كالقطن والكتان والصوف، حيث اشتهرت فاس بزركشة المنسوجات وصبغها باللونين القرمزي والأرجواني[1]، وصنعت سجلماسة أثوابا بلغ ثمن الواحد منها عشرين مثقالا[2]، هذا إضافة إلى صناعة البسط والحصر. وصنعوا من الجلود سروج الخيل والدواب والحقائب وجلدوا الكتب؛ كما كانت الأغشية تصنع من الجلود مثال ذلك غطاء منبر جامع القرويين الذي صنع من أغشية جلود الماعز[3].

ومن منتجات الأدارسة أيضا الأدوات الخشبية[4]، والأدوات المنزلية مثل القدور النحاسية والأواني الفخارية والخزفية حيث كان لهذه الصناعة مكان خاص بها يصنع فيه الآجر والآنية والزليج وغيرها؛ حيث اشتهرت مدينة فاس بالصناعات الفخارية لقربها من أمكنة معروفة بطينها الجيد، وكان لهذه الصناعة جانب صناعي وجانب فني ممتاز[5].

واهتم الأدارسة بصناعة الزجاج؛ حيث تفنن الفاسيون في صنع أشكال متقنة من أنواع الزجاج بألوان مختلفة مثال ذلك ما رُكّب في جانب الشمسيات التي بجوانب القبلة بمسجد القرويين، كما صنعت قوارير الزجاج التي كانت تسرج في أول الليل وآخره[6].

وبما أن الدولة الإدريسية كانت معرضة للغزو الداخلي والعدوان الخارجي؛ اهتمت بصناعة الأسلحة؛ فأتقنوا إنتاج الدرق والمزاريق والسيوف والأطاس (سلاح شبيه بالخنجر) والخناجر والأقواس الطويلة والألبسة الصوفية الخشنة التي كانت بمثابة الدروع[7] (واقيات حربية).

2)- موقف الكيان السياسي من النشاط التجاري:

[1] .ياقوت الحموي: المصدر السابق، ص: 4.

[2] .البكري: المصدر السابق، ص: 137.

[3] . ابن أبي زرع الفاسي: **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، باريس، 1860م، ص: 62.

[4] .البكري: المصدر السابق، ص: 90.

[5] .عبد القادر زمامة: **فاس وصناعتها التقليدية**، مجلة كلية الآداب والعلوم الانسانية بفاس، جامعة محمد بن عبد الله، العدد الرابع والخامس، 1980، 1981.

[6] .الجزنائي: المصدر السابق، ص ص: 68-71.

[7] . نصر الله سعدون عباس: **دولة الأدارسة في المغرب العصر الذهبي**، ط1، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1987، ص: 142.

مادامت الأنشطة التجارية تمثل عصبا اقتصاديا فعالا في حياة الدولة الإدريسية، فكان لابد لمؤسس هذه الدولة أن يقوم بدعم وتشجيع الأنشطة التجارية من أجل ازدهار دولته.

فمن أجل إقامة روابط علاقات تجارية متينة اهتمت الدولة الإدريسية بالطرق والمراكز التجارية والأسواق التجارية، فقد ربطت مراكز وأسواق المغرب الأقصى بشبكة من الطرق والمسالك الرئيسية والفرعية وارتبطت هذه الطرق مع المسالك والطرق الخارجية باتجاهات مختلفة[1]. وقد مكنت هذه الشبكة من المسالك والطرق التجار من ممارسة أنشطتهم التجارية داخل المغرب الأقصى وخارجه؛ بل شجعتهم على ذلك. ويبدو أن استخدام الطرق التجارية لم ينقطع أبدا حتى في حالات الحروب والفوضى السياسية[2].

أما عن الطرق التجارية الخارجية فكان اهتمام الدولة بها مبكرا منذ تأسيسها ، فقد شيد الأدارسة في الصحراء مركزا إداريا لهم وهو مدينة تامدلت التي حكمها أمير إدريسي[3]. ولا تكمن أهمية هذا الانجاز سياسيا واقتصاديا فقط، بل مثل دعما وتشجيعا للنشاط التجاري بين بلاد المغرب الأقصى وبلاد السودان عبر الصحراء، لاسيما إذا عرفنا أن جزءا من السودان الغربي كان تابعا إداريا إلى سلطة الأدارسة.

لم يقتصر اهتمام حكام الدولة باتجاه الجنوب فقط بل أقاموا علاقات تجارية باتجاه الشمال والشرق أيضا، حيث ارتبط المغرب الأقصى بالأندلس بعلاقات تجارية مستمرة بفعل العلاقة المكانية بينهما، فالقرب المكاني بين أرض المغرب وأرض الأندلس[4] شجع ووثق هذه العلاقة ناهيك عن الارتباط السياسي بينهما، فالأدارسة كانت لهم علاقات سياسية وثيقة مع الأندلس الأموية في القرن (4هـ/10)[5].

أما باتجاه الشرق حيث المغرب الأوسط والأدنى ومصر والمشرق الإسلامي، فإن الدول الإدريسية عملت على تعزيز علاقاتها التجارية بهذا الاتجاه، ومن الجدير بالذكر أن العلاقة التجارية بين مصر والمغرب الأقصى قد توقفت بعد اندثار الطريق التجاري الذي

---

[1]. ابن حوقل: المصدر السابق، ص: 83.

[2]. المصدر نفسه ونفس الصفحة.

[3]. اليعقوبي: **تاريخ اليعقوبي**، دار صادر، بيروت، لبنان، (د ت ط).ص: 163.

[4]. ابن سعيد: المصدر السابق ص: 139.

[5]. البكري: المصدر السابق، ص: 112.

يربط مصر بمناطق غانة في السودان الغربي في القرن (4هـ/10م)، وانتقل النشاط التجاري للتجار المصريين المشتغلين بالتجارة مع بلاد السودان وغيرهم إلى سجلماسة في المغرب الأقصى من أجل استخدام الطريق التجاري الصحراوي الغربي ، وبهذا أصبحت سجلماسة مركزا تجاريا كبيرا قدم إليه التجار من العراق ومن اليمن ومن سائر البلدان[1].

كما اهتم حكام الأدارسة بتوفير الأمن والاستقرار في بلادهم ؛ وهذا ما شجع التجار والتجارة[2]، وحتى في حال الفوضى السياسية في المغرب نجد أنَ التجارة بين مراكزه في الأسواق لم تنقطع أبدا[3]. ولم تكتف الدولة بتوفير الأمن والاستقرار بل تعداه إلى الاهتمام بالعملة المسكوكة وعيارها ومن الغش والتلاعب فيها[4]، وعدم فرض ضرائب باهضة على الأنشطة التجارية[5].

ثانيا: النشاط التجاري عهد الأدارسة :

نشطت التجارة أيام الأدارسة والذي ساعد على ذلك تقدم عنصري الاقتصاد الصناعة والزراعة وخاصة هذه الأخيرة؛ وهذا ما ذهب إليه "الحبيب الجنحاني" حين أكد أن هناك سمة مميزة في بلاد المغرب ابتداء من القرن الثالث هجري الموافق للقرن التاسع ميلادي تتمثل في ثنائية الفلاحة والتجارة[6]؛ ذلك أنّ الكثير من المنتجات الزراعية أصبحت بضائع أساسية في قائمة التبادل التجاري الداخلي والخارجي. ولهذا سنبحث فيما يأتي التجارة الداخلية ثم نليها بالتجارة الخارجية:

أ). التجارة الداخلية:

نشطت التجارة الداخلية زمن الدولة الإدريسية؛ بفضل ما تنتجه من محاصيل زراعية ومنتجات صناعية، وقد ساعد على نشاط التجارة الداخلية عدة عوامل منها:

---

[1] . بان محمد علي البياتي: "**النشاط التجاري في المغرب الأقصى خلال القرن (3-5هـ/9-11م)**"، رسالة ماجستير، قدمت في قسم التاريخ بجامعة بغداد، 2004، ص: 29.

[2] . المرجع نفسه.

[3] . المرجع نفسه .

[4] . المرجع نفسه.

[5] . المرجع نفسه.

[6] . الحبيب الجنحاني: **دراسات في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للمغرب الإسلامي**، ط2، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1986م، ص: 30.

1. الطرق التجارية:

لقد ضم إقليم المغرب الأقصى الذي تربعت على أرضه الدولة الإدريسية شبكة واسعة من الطرق والمسالك الداخلية بين مختلف مدنه الصغيرة والكبيرة وكذلك القرى، وتنقسم هذه الطرق إلى برية ونهرية، فالطرق البرية كالطرق التي تربط بين فاس ومدن المغرب الأقصى والطرق التي تربط سجلماسة بمدن المغرب الأقصى والطرق التي تربط أغمات بمدن المغرب الأقصى، إلى جانب الكثير من الطرق الفرعية. أما الطرق النهرية فالمعروف أن الأنهار التي تجري في إقليم المغرب الأقصى غير صالحة للملاحة على العموم، إلا أنه ذُكِر أنّ أهل فاس استخدموا الأنهار كطرق تجارية بسبب وقوعها على نهر فاس الذي هو أحد فروع نهر سبو الذي كانت تسير فيه القوارب والسفن الصغار إلى البحر الأعظم(البحر المتوسط)[1].

2. المراكز التجارية:

- فاس: كانت فاس مركزا تجاريا هاما سواء للتجارة الداخلية أو الخارجية فقد وصفها "الزهري" بقوله: << يقصدها الناس من جميع الأقطار وإليها يجلب من جميع الأقاليم كل شيء حسن المتاع والسلع الغالية الأثمان من اليمن والعراق والشام والأندلس>>[2]. ووصفها "الإدريسي" بأنها:<< قطب ومدار لمدن المغرب الأقصى >>[3]. وهذا راجع إلى موقعها الممتاز و توفر المحاصيل الزراعية والصناعات المختلفة، وكانت المدينة تعج بالتجار من مختلف مدن المغرب الإسلامي، وقد عبر عن ذلك "الجيلالي" بقوله: << وانتقل إليها من جميع البلاد القاصية والدانية فليس من أهل بلد ولا إقليم إلا ولهم بها منزل و متجر وصناعة...وأتتها التجارات من كل صقع>>[4]. وقد قال "الإدريسي" عنها أيضا: << يجلب إلى حضرتها كل غريبة من الثياب والبضائع والأمتعة الحسنة وأهلها مياسير>>[5] وهذا يعني أنها محطة تجارية تقصدها القوافل من قريب أوبعيد.

---

[1] . الجزنائي: المصدر السابق، ص: 37.

[2] . أبو عبد الله محمد (الزهري): **كتاب الجغرافية**، تحقيق محمد حاج صادق، المعهد الفرنسي، دمشق، 1968م ، ص: 114.

[3] . الإدريسي: المصدر السابق، ص:79.

[4] . الجيلالي: **رسالة في ذكر من أسس مدينة فاس**، نقلا عن حسن علي حسن: المرجع السابق، ص51.

[5] . الإدريسي: المصدر السابق، ص: 53.

ـ البصرة المغربية[1]: تمتلك ثروة زراعية وحيوانية كبيرة؛ فقد عرفت ببصرة الذبان لكثرة ألبانها [2]و صدرت الفائض من منتجاتها إلى المغرب الأدنى وبلاد برغواطة[3].

ـ أغمات: كانت أغمات مقسمة إلى قسمين قسم إداري والآخر تجاري يقصده التجار(أغمات وريكة)، أما "الإدريسي" فيذكر: << أهلها تجار مياسير يدخلون إلى بلاد السودان بأعداد الجمال الحاملة لقناطير الأموال>>[4]. وهذا يعني أنّ النشاط التجاري كان واسعا في أغمات وأن أهلها كانوا يمتلكون أموالا طائلة جنوها من التجارة خاصة مع بلاد السودان.

ـ سجلماسة: تعد سجلماسة على حد قول "ابن حوقل" مركزا تجاريا مهما وبها أرباح متوفرة[5]، أما "المقديسي" فإنه وصفها قائلا:: << مثيرة الخيرات موافقة لهم يقصدونها من كل بلد>>[6]، ويقول "القزويني": << وأهل هذه المدينة من أغنى الناس وأكثرهم مالا لأنها على طريق غانا التي هي معدن الذهب>>[7] وأنّ << أهلها مياسير ولها متاجر إلى بلاد السودان>>[8]. وهكذا نجد أن المصادر تجمع على أنّ سجلماسة مركز تجاري هام للمتاجرة مع بلاد السودان وأنّ هذه التجارة كانت سببا في ثرائها.

ـ تلمسان: تعد أهم أسواق التجارة الواردة من المشرق.

---

[1] .البصرة: مدينة في إقليم المغرب الأقصى وموقعها كما قال الأصطخري بحذاء جبل طارق بينها وبين الجزيرة المذكورة عرض البحر اثنى عشر ميلا . ووصفها "ابن حوقل" مدينة مقتصدة عليا سور ليس بالمنيع ولها مياه من خارجها من عيون عليها بساتين من شرقها ولها غلات كثيرة من القطن المحول إلى إفريقيا وغيرها ومن غلاتهم القمح والشعير والقطاني وسهمهم من ذلك وافر. انظر:

.إبراهيم أبو إسحاق (الاصطخري): **المسالك والممالك**، تحقيق محمد جابر، دار القلم ،القاهرة، 1961، ص: 38.

.ابن حوقل: المصدر السابق، ص: 80.

[2] .البكري: المصدر السابق، ص: 110.

[3] .ابن حوقل: المصدر السابق، ص: 83. وعن تجارة البصرة انظر:

. ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج1، ص ص: 440-441.

[4] .الإدريسي: المصدر السابق، ص: 42.

[5] .ابن حوقل: المصدر السابق، ص: 99.

[6] . أبو عبد الله محمد (المقديسي): **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، 1987، ص: 231.

[7] .زكرياء بن محمد (القزويني): **آثار البلاد وأخبار العباد**، طبعة بيروت، ص: 1960، ص: 42.

[8] .القلقشندي: المصدر السابق، ج5، ص: 159.

وجدنا أن هذه هي المراكز الرئيسية للتجارة الداخلية زمن الدولة الإدريسية ولم تقتصر تجارتها على مدن المغرب الأقصى فقط، بل كانت أيضا مراكزا للتجارة الخارجية خاصة مع البلدان المجاورة كالسودان والأندلس.

3ـ الأسواق: لقد اهتمت الدولة الإدريسية بإقامة الأسواق وتنظيمها منذ أن تأسست. حيث كانت تقام أسواق أسبوعية للتبادل التجاري تتركز في بعض المدن، منها أسواق أودغشت[1] حيث كان يجتمع فيها خلق كثير فلا يكاد المرء يسمع صوت صاحبه لكثرة قاصديها. وسوق أغمات نهار الأحد يتمون به الناس من كافة البضائع. وسوق فاس يومي الخميس والأحد[2]، وسوق أصيلا يوم الجمعة وعيد الأضحى ويوم عاشوراء[3]، ويردها التجار من كافة أرجاء المغرب الأقصى وأيضا من البلدان المجاورة ولاسيما الأندلس. وسوق وليلي يوم الأربعاء[4]. وبهذه الأسواق امتلأت بلاد المغرب بالبضائع الأجنبية، وكانت العمليات التجارية تتم غالبا بالمقايضة. وقد حقق الأدارسة بفضل هذه الأسواق ثراء كبيرا والدليل على ذلك صك الدولة الإدريسية النقود من الذهب عام (198هـ/813م).

وقد نظم الأدارسة هذه الأسواق بتعيين عامل على السوق لمراقبة عمليات البيع والشراء، وهنا يجب الإشارة بأن القاضي سحنون صاحب كتاب المدونة كان من أمر بمراقبة الأسواق من حيث أنواع السلع فيها وتصرفات التجار، وأمر بتغيير المنكر إذ وجب أن يخرج من السوق كل من يغش[5].

ب ـ التجارة الخارجية:

نشطت التجارة الخارجية كما نشطت التجارة الداخلية، وهذا بفضل ازدهار الأخيرة، فقد عمل الأدارسة على تصدير الفائض من منتجاتهم وفي المقابل استيراد ما يخص البلاد؛ فنشطت التجارة الخارجية؛ وقد ساعد على نشاطها عدة عوامل منها:

1. الطرق التجارية:

[1] .البكري: المصدر السابق،ص: 153.

[2] .المصدر نفسه،، ص ص: 108-116.

[3] .المصدر نفسه، ص ص: 111-112.

[4] . سعدون نصر الله: المرجع السابق، ص: 145.

[5] .عبد الله أبو بكر (المالكي): **رياض النفوس في طبقات علماء القيروان و إفريقية وزادهم وعبادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضلائهم وأوصافهم**، (نشره حسين مؤنس)، ج1، ط1، القاهرة، 1951ن ص: 276.

ارتبط المغرب الأقصى زمن الدولة الإدريسية بمراكز التجارة الخارجية في كل من المغربين الأوسط والأدنى، والمشرق وبلاد السودان[1] والأندلس وجنوب أوروبا بعدة طرق منها طرق برية وطرق بحرية.

ـ الطرق البرية: تتمثل في:

*الطرق بين المغرب الأقصى والمغربين الأوسط والأدنى: منها الطريق الساحلي (الجادة)؛ والطريق الداخلي الذي يربط الكثير من مدن المغرب الأقصى الداخلية بمدن المغربين الأوسط والأدنى[2].

*الطريق مع مصر: وهو امتداد للطريق السابق حتى يصل إلى مصر[3].

*الطرق مع المشرق: ارتبط المغرب الأقصى مع المشرق بعدة طرق تجارية، فقد أشار "ابن خردذابة" خلال القرن الثالث للهجرة الموافق للقرن التاسع ميلادي إلى وجود طريقين أحدهما يخرج من مدينة سامراء والآخر من بغداد؛ ويصل هذان الطريقان إلى مدينة فسطاط بمصر؛ والفسطاط ترتبط بدورها بطرق القوافل التجارية الذاهبة إلى المغرب الأقصى. كما أشار "ابن خردذابة" إلى طريق ساحلي يربط طنجة في المغرب الأقصى يعبر بلاد المغرب ثم مصر وبلاد الشام ثم العراق ويصل الى البصرة العراقية ويمر الطريق بعد ذلك على بلاد فارس وكرمان والسند والهند[4]. وطريق ساحلي أشار إليه " ابن حوقل" وهو يبدأ من طنجة ويمر على مدن المغرب الأوسط والأدنى ومنها إلى مصر ثم إلى المشرق.

*الطرق مع بلاد السودان: من خلال الكتب التي اعتمدنا عليها نجد أن هناك طريقان رئيسيان تم الاعتماد عليهما أكثر في القرن الرابع للهجرة وما بعده وهما: الطريق الغربي يبدأ من المغرب الأقصى باتجاه بلاد السودان ويتفرع إلى فرعين فالفرع الأول يربط مدينة سجلماسة بمدينة أودغشت وغانا[5] في السودان الغربي، أما الفرع الثاني يربط مناطق

---

[1] .لقد أطلق العرب المسلمون كلمة سودان على الشعوب السوداء و معناها الصحيح إقليم السود ،وتدل على جميع البقاع التي يقطنها السود وتشمل السودان الغربي والأوسط والشرقي.انظر:

.دائرة المعارف الإسلامية،المجلد12،مادة السودان ، نقلها إلى العربية عبد الحميد يونس.

[2] .للمزيد من التفاصيل عن هذا الطريق انظر:

.ابن حوقل: المصدر السابق، ص ص: 53-54.

[3] .البكري: المصدر السابق، ص: 58.

[4] . أبو القاسم عبيد الله (ابن خرداذبة): **المسالك والممالك**، طبعة صادر، بيروت، لبنان، (د ت ط)، ص: 155.

[5] . غانا: من بلاد السودان ، بينها وبين سجلماسة مسيرة شهرين، (ومسيرة اليوم الواحد تعادل المرحلة ، والمرحلة = حوالي 44كلم) وهي أكبر بلاد السودان يقصدها تجار بلاد المغرب الأقصى.أنظر:

السوس بالمغرب الأقصى بمدينة غانا وباقي المدن السودانية. والطريق الأوسط يبدأ من مدينة تلمسان ويسير جنوبا باتجاه الصحراء حتى يصل مدينة كوكو[1](المركز التجاري السوداني)؛ ثم يصل إلى غانا في السودان الغربي[2].

ـ الطرق البحرية:

إنّ ارتباط المغرب الأقصى بالبحر المتوسط من الشمال والمحيط الأطلسي من الغرب؛ وامتداد سواحله على مسافات طويلة حتم وجود عدد من الطرق البحرية التجارية يتم عبرها نقل السلع والبضائع من و إلى المغرب الأقصى منها:

*الطريق الذي يربط ميناء طنجة بموانيء المغرب الأوسط والأدنى ومنها باتجاه مصر والشام[3].

*الطريق مع بلاد الأندلس عن طريق مينائي سبتة وطنجة باتجاه مرسى جزيرة طريف في بلاد الأندلس[4].

*الطريق مع جنوب أوروبا؛ وهذا الطريق يربط طنجة ببلاد الفرنجة عبر الأندلس؛ ومن فرنجة تتجه السفن إلى جنوب إيطاليا والقسطنطينية[5].

*الطريق مع صقلية وجزر البحر المتوسط يربط مدن المغرب الأقصى بالمراسي التي تقع على هذا الطريق[6].

وبالتالي هذه هي الطرق الرئيسية التي اعتمدت عليها الدولة الإدريسية في نقل سلعها وبضائعها إلى البلدان الأخرى، كما أن هذه الطرق تم الاعتماد عليها بعد الأدارسة.

2. الموانئ التجارية:

ـ موانئ البحر المتوسط: وهي:

. الحميري: المصدر السابق،ص425.

[1] . كوكو: مدينة عظيمة فيها خلق كثير من السودان لا يحصى لهم عدد وهي على النيل ويقال سمو كوكو لأن الذي يفهم من نغمة طبولهم كوكوا. انظر:

. مجهول: **الاستبصار في عجائب الأمصار**، ص: 225.

[2] . البكري: المصدر السابق، ص: ص: 182-183.

[3] . البكري: المصدر السابق، ص ص: 182-183.

[4] . المصدر نفسه، ص: 86.

[5] . الاصطخري: المصدر السابق، ص: 82.

[6] . بان محمد علي البياتي: المرجع السابق، ص ص: 60-61.

*سبتة: كثيرة الثروات الطبيعية من ثروة زراعية وثروة سمكية مما جعلها مركزا تجاريا كبيرا للتصدير، كما أكد "ابن سعيد" على نشاط سبتة التجاري بقوله: << ...وفيها التجار الأغنياء الذين يبتاعون المركب بما فيه من بضائع الهند ..>>[1].

*طنجة: وصفها "البكري" بأنها أرض إقلاع وحط ولها أسواق؛ بينما يؤكد "ابن حوقل" << أن أكثر أموال أهلها من الزرع حنطة وشعير وحبوب>>[2] ؛ وهذا يعني أنها كانت مركزا تجاريا عظيما وأن سبب غناها الثروة الزراعية.

ـ موانئ المحيط الأطلسي: وهي:

بحيرة آريغ، سلا، أصيلا، آسفي.

وتوجد مراسي أخرى مطلة على المحيط الأطلسي تصلها المراكب وتقوم بعمليات تصدير واستيراد مثل: مرسى مازيغن، والبيضاء، والغيط[3]، وأشار "البكري" إلى وجود مرسى نوز وهو ساحل أغمات[4]، وأشار "الزهري" إلى وجود مراسي فضالة وآنفا[5].

3 ـ العلاقات التجارية:

بالرغم من علاقات الأدارسة السيئة مع الخلافة العباسية في المشرق؛ ومع جيرانهم الأغالبة والخوارج في إفريقيا؛ والأمويين في الأندلس، إلا أنّ العلاقات التجارية ظلت قائمة مع سائر دول المغرب؛ فضلا عن المشرق والأندلس وبلاد السودان. ولهذا سنتناول فيما يأتي العلاقات التجارية بين الدولة الإدريسية وبين كل من المشرق الإسلامي والمغربين الأوسط والأدنى والأندلس وبلاد السودان تصديرا واستيرادا.

ـ الصادرات:

تنوعت صادرات الدولة الإدريسية بين منتجات زراعية وحيوانية وثروات طبيعية وسلع مصنعة؛ يضاف إلى ذلك بضائع وسلع مستوردة أُعِيد تصديرها؛ وقد حملت هذه البضائع إلى خارج المغرب الأقصى وباتجاهات مختلفة كما سنرى:

[1]. ابن سعيد المغربي: المصدر السابق ، ص: 73.

[2]. **صورة الأرض**، ص: 79.

[3]. المصدر نفسه، ص ص: 48-49.

[4]. البكري: المصدر السابق، ص: 86.

[5]. الزهري: المصدر السابق، ص: 115.

*إلى إقليمي المغرب الأوسط والأدنى: تتمثل في المنتجات الزراعية مثل القطن[1]، الكتان[2]، والحناء[3] الكمون، قصب السكر[4]،القمح والشعير[5] والسمسم والتمور[6] والعسل[7]. والثروة الحيوانية من سمك[8] ودواب الفنك[9]. والمعادن في مقدمتها النحاس[10]. والثياب القطنية والصوفية[11]. أما المنتجات المستوردة المعاد تصديرها تتمثل في الذهب الذي حمل من السودان[12] إلى المغرب الأقصى ثم صُدّر الفائض منه إلى الخارج.

*إلى مصر والمشرق الإسلامي: تتمثل في المرجان والعنبر[13]، ذهب السودان[14]، النحاس[15]. وأورد لنا "ابن حوقل" قائمة بمواد متنوعة كان الأدارسة يصدرونها إلى المشرق الإسلامي وهي << الرقيق الذي يجلب من بلاد السودان ومن أرض الأندلس والصقالبة والأكسية بمختلف أنواعها والمعادن والمواشي>>[16]، والتمور والقرظ[17] والبزاة السود[18] وغيرها من المنتجات.

[1]. ابن حوقل: المصدر السابق، ص: 80.

[2]. البكري: المصدر السابق، ص: 110.

[3]. الإدريسي: المصدر السابق، ص: 39.

[4]. البكري: المصدر السابق، ص: 111.

[5]. ابن حوقل: المصدر السابق، ص: 80.

[6]. المصدر نفسه، ص: 91.

[7]. البكري: المصدر السابق، ص: 162.

[8]. ابن سعيد المغربي: المصدر السابق، ص: 72.

[9]. البكري: المصدر السابق، ص: 171.

[10]. الإدريسي: المصدر السابق، ص: 49.

[11]. المصدر نفسه، ص ص: 50-39.

[12]. ابن سعيد المغربي: المصدر السابق، ص: 26.

[13]. شهاب الدين أحمد (النويري): **نهاية الإرب في فنون الأدب**، المؤسسة المصرية للتأليف والنشر، مصر، (د ت ط)، ص: 20.

[14]. بان البياتي: المرجع السابق، ص: 78.

[15]. مجهول: الاستبصار، ص: 181.

[16]. **صورة الأرض**، ص: 97.

[17]. القرظ: ورق السلع تدبغ به الجلود.انظر:

.عبد العزيز الدوري: **تاريخ العراق الاقتصادي في القرن 4هـ**، ط2، دار المشرق، بيروت، 1974، ص: 141.

[18]. الجاحظ: **التبصرة بالتجارة**، ص: 21. نقلا عن بان البياتي: المرجع السابق، ص: 79.

*إلى بلاد السودان: تتمثل صادرات الأدارسة إلى بلاد السودان في الأواني الفخارية[1]، إلى جانب القمح والتمر والزبيب[2]، السميد[3]، النحاس المصبوغ والمسبوك[4]، المرجان والأصداف وخشب الصنوبر، الزجاج والأكسية والقطن وآلات الحديد المصنوع[5]، كما كان الملح[6] يتصدر قائمة الصادرات إلى بلاد السودان لانعدامه وأهميته عندهم[7]؛ وكان التجار الأدارسة يستبدلونه بالذهب وهذا لارتفاع سعر الملح عند بلاد السودان[8].

*إلى بلاد الأندلس: نتيجة قرب الأندلس من المغرب الأقصى كانت حركة السفن التجارية لا تنقطع بين الجانبين، حيث صدّر إلى الأندلس أنواع من الماشية كالغنم والماعز والبقر[9]، وبعض المنتجات الزراعية كالقمح والسكر والكروم والتمر والحناء[10]، وذهب السودان الغربي[11]، وبعض الطيور المستوردة من السودان كالطواويس والببغاء[12].

ـ الواردات:

تنوعت أيضا واردات الدولة الإدريسية؛ وسنتعرف عليها من خلال عرضنا للواردات من كل إقليم.

*من إقليمي المغرب الأوسط والأدنى: شكلت المنتجات الزراعية نسبة كبيرة من قائمة الواردات، ومنها الفستق، اللوز، العسل، السمن والتين. والمنسوجات والأكسية. والثروة الحيوانية كالأغنام والماشية. أما المعادن يتصدرها الحديد[13].

---

[1]. المرجع نفسه، ص: 80.

[2]. البكري: المصدر السابق، ص: 158.

[3]. مجهول: **الاستبصار**، ص: 181.

[4]. البكري: المصدر السابق، ص: 162.

[5]. بان البياتي: المرجع السابق، ص: 80.

[6]. البكري: المصدر السابق، ص: 171.

[7]. يستخدم في تجفيف الطعام للاحتفاظ بع طويلا، كما له استخدامات طبية. انظر:
. الإدريسي: المصدر السابق، ص: 6.

[8]. بان البياتي: المرجع السابق، ص: 80.

[9]. الإدريسي: المصدر السابق، ص: 48.

[10]. المصدر نفسه، ص: 38.

[11]. ابن سعيد المغربي: المصدر السابق، ص: 26.

[12]. المصدر نفسه، ص: 27.

[13]. بان البياتي: المرجع السابق، ص: 82.

*من بلاد الأندلس: تتمثل الواردات من الأندلس في الزئبق، الحديد، الرصاص[1]، الأنسجة[2]، الحرير[3]، الثياب القطنية والحريرية والكتانية[4]، الزيت والقطن، التين، اللوز، الزعفران، الأخشاب والرخام[5]... ومن البضائع التي تحمل من أوروبا عبر الأندلس الخدم والجواري، جلود الخز والوبر والمرجان[6].

*من مصر والمشرق الإسلامي: المسك، العود، الكافور، العطر الهندي، وماء الورد[7].

* من بلاد السودان: يتصدر قائمة الواردات الذهب الذي حمله التجار من مدينة كوغة السودانية التي وصفت بأنها أكثر بلاد السودان ذهبا[8]، ومن البضائع الأخرى التي جلبها التجار الأدارسة الرقيق[9]، العنبر[10]، الشب[11]، جلود الماعز المدبوغة[12]، العاج[13] وغيرها من السلع. وتتم المتاجرة مع بلاد السودان بالمقايضة.

وهكذا بحثنا علاقات الأدارسة التجارية تصديرا واستيرادا مع مختلف الأقاليم؛ ووجدنا أنها علاقات طيبة رغم العداء خاصة مع الخلافة العباسية في بغداد والدولة الأغلبية في إفريقية والأمويين في الأندلس، وهنا نستنتج أن الدولة الإدريسية وضعت حدا فاصلا بين العلاقات السياسية ومصالحها الاقتصادية، وبهذا استطاعت تصدير

---

[1]. ابن حوقل: المصدر السابق، ص: 114.

[2]. بان البياتي: المرجع السابق،ص: 85.

[3] .بن عبد المنعم (الحميري): **الروض المعطار في خبر الأقطار**، تحقيق إحسان عباس، ط2، مطابع هيدليرغ، بيروت،1984م، ص: 24.

[4]. محمود إسماعيل: **ثورات الخوارج في المغرب**، القاهرة، 1986، ص: 208.

[5]. ابن حوقل: المصدر السابق، ص ص: 152-158-159.

[6]. الاصطخري: المصدر السابق، ص: 92.

[7]. عبد الواحد (المراكشي): **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، تحقيق محمد سعيد العريان ، ط1، مطبعة الاستقامة، مصر، 1949، ص: 359.

[8]. مجهول: **الاستبصار**، ص: 222.

[9]. الإدريسي: المصدر السابق، ص: 20. وعن تجارة الرقيق انظر:

. الزهري: المصدر السابق، ص: 125.

.عبد الرحمن (ابن خلدون): **كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، لبنان، 1971م، مجلد 93..

[10]. البكري: المصدر السابق، ص: 159.

[11]. الإدريسي: المصدر السابق، ص: 52.

[12]. أبو حامد الأندلسي الغرناطي: **تحفة الألباب ونخبة الإعجاب**، تحقيق إسماعيل العربي، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1989، ص:43.

[13]. الزهري: المصدر السابق، ص: 118.

الفائض من منتجاتها بمختلف أنواعها والتي تعرفنا عليها فيما سبق، واستيراد ما تحتاجه البلاد من منتجات وبذلك سدت حاجات السكان.

خاتمة:

وجدنا أن دولة الأدارسة، كانت قوة في مجال الزراعة والصناعة وهذا ما أثر إيجابا على الحركة التجارية خاصة في عصر ازدهارها ، حيث غطت المنتجات الزراعية والصناعية حاجات السكان وزادت عنها ، مما أدى إلى تصدير الكثير منها إلى خارج البلاد. وقد أقامت الدولة الإدريسية عدة علاقات تجارية .تصديرا واستيرادا.مع الدول الأوروبية والأندلس والمغربين الأدنى والأوسط ومع بلاد المشرق وبلاد جنوب الصحراء.

قائمة المصادروالمراجع:

أ).قائمة المصادر:

1- الإدريسي (الشريف أبو عبد الله ت: 562ه): **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، تحقيق محمحد حاج صادق، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983.

2- الاصطخري (إبراهيم أبو إسحاق): **المسالك والممالك**، تحقيق محمد جابر، دارالقلم ،القاهرة، 1961.

3- ابن جبير (أبو الحسن محمد): **رسالة اعتبار الناسك في ذكر الآثار الكريمة والمناسك**، المعروفة برحلة ابن جبير،ط2 ، منشورات دار مكتبة الهلال بيروت،2000.

4- ابن رسته (أبو علي أحمد): **الأعلاق النفيسة**، المجلد السابع، مطبعة بريل، ليدن، 1981. - ابن سعيد المغربي: بسط الأرض في الطول والعرض، تحقيق خوان خيناس، معهد مولاي الحسن، تطوان، المغرب، 1957.

5- ابن سعيد: **نزهة الأنظار**، ج1، (د ت ط).

6- أبو حامد الأندلسي الغرناطي: **تحفة الألباب ونخبة الإعجاب**، تحقيق إسماعيل العربي، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1989.

7-.البكري (أبو عبيد ت: 487ه): **جغر افية الأندلس وأوربا من خلال كتاب المسالك والممالك**،ط1، تحقيق عبد الرحمان علي حجي، دار الإرشاد للطباعة والنشر ، بيروت 1968.

8- الجزنائي: **زهرة الآس في بناء مدينة فاس** ،الجزائر،1922.

9- الحميري (بن عبد المنعم): **الروض المعطار في خبر الأقطار**، تحقيق إحسان عباس، ط2، مطابع هيدليرغ، بيروت، 1984.

10- الزهري (أبو عبد الله محمد): **كتاب الجغر افيا**، تحقيق محمد حاج صادق، المعهد الفرنسي، دمشق، 1968.

11- العمري (شهاب الدين): **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**،تحقيق دورتيا كرافولسكي،ج1،ط1،المركز الإسلامي للبحوث،1985.